

الفصل الرابع

الإسكندرية.. عاصمة الأجانب والسينما

كان لموقع الإسكندرية المتميز بحوض البحر المتوسط عامل مهم من عوامل انتقال كثير من مهاجري الدول المطلة على البحر المتوسط كإيطاليا وفرنسا وسواحل البلقان في اليونان وألبانيا.. وبالتدريج بعد أن كان الغرض هو التجارة واستخدام مدينة الإسكندرية كطريق مرور عالمي.. أقام هؤلاء المهاجرون بالمدينة وانصهروا مع أبنائها، وأصبحوا جزءاً من كيائها الحضارى.. ومن المعروف أنهم كانت تربطهم علاقات وطيدة ببلدانهم ولذا كانوا يحضرون معهم كل المخترعات التى تتم فى أوروبا، ومن هذه الاختراعات كانت السينما.

ظاهرة فوضى الإنتاج:

هناك إجماع على أن أول عرض سينمائى لأفلام لوميير الأولى بالعالم العربى تم فى الإسكندرية فى ٥ نوفمبر ١٨٩٦م. ثم بدأت العروض تنتشر فى جميع أنحاء الإسكندرية وخاصة للجاليات الأجنبية.. فكانت العروض للجالية الفرنسية تتم فى «سينماتوغراف لوميير».. وكانت أولى العروض فى يناير ١٨٩٧م. وكانت العروض التى تهتم الجالية الإيطالية تتم فى «سينماتوغراف ايربانوراما» التى تم افتتاحها فى ١٧ أغسطس ١٩٠٦م فى شارع صلاح الدين.

وفى عام ١٩٠٦م استورد المصوران الإيطاليان «عزيز بندرتى» و «امبرتو ملافاس دوريس» الاسطوانات الناطقة للتعليق على الأفلام التى يعرضونها بدار العرض التى أقامها فى ٢٩ نوفمبر ١٩٠٦م وهى «سينمافون عزيز ودوريس» بمحطة الرمل والموجودة مكانها الآن سينما ستراند، وكان يعمل معهما المصور «الفيزى أورفانلى».

كما قام بعض المصورين الأجانب المقيمين بالإسكندرية فى عام ١٩٠٧م بإحضار أشرطة فيلمية من دول أوروبا وخاصة فرنسا، وكانت مدة كل شريط ١٠ دقائق.. وقام أحد هؤلاء ويدعى «مسيو لاجارين» بإقامة دار عرض سينمائى باسم سينما «باتييه»، وقام بعرض الأفلام التى جلبها من فرنسا بغرض الإتجار والربح.. ثم قام بإحضار معدات تصوير وأخذ يسجل ويعرض الأحداث المهمة بمدينة الإسكندرية ومنها «عودة الخديوى من الآستانة» و «القداس بكنيسة سانت كاترين» و «حركة المسافرين بمحطة سيدى جابر».

كما قام عزيز ودوريس فى ٢١ يونيو ١٩٠٧م بتصوير «زيارة الخديو للمعهد العلمى بمسجد أبى العباس» - وقد جاء فى كتاب «تاريخ السينما المصرية» للمؤرخ أحمد الحضرى: «إن شريط زيارة الخديو للمعهد العلمى يعد أول تصوير سينمائى محلى فى تلك الحقبة» وتوالى بعد ذلك إنتاج الأشرطة الفيلمية للإيطاليين «لاريتشى، وبوتشيني، وأمبرتو دوريس»

شركات الإنتاج والاستديوهات:

عندما قامت الحرب العالمية الأولى، حدثت أزمة اقتصادية فى إيطاليا كان لها تأثير كبير فى صناعة السينما التى كانت تعتمد على

السوق المصرية فى توزيع أفلامها.. فقرر بعض رجال المال وبعض صغار
صناع الأفلام العمل فى مدينة الإسكندرية كمكان بديل يواصلون فيه
إنتاج أفلامهم وذلك لوجود جاليات أجنبية كثيرة وكبيرة بالإسكندرية
وخاصة الجالية الإيطالية، فتم عقد إتفاق بين مسيو دوريس وبنك دى
روما على تمويل إنتاج أفلامهم السينمائية، وكانت بداية تكوين أول
شركة سينمائية فى مصر باسم «الشركة الإيطالية المصرية للسينما» وقد
تكونت فى ٣٠ أكتوبر ١٩١٧م.

قامت بعد ذلك من ١٩٢٠م - ١٩٢٦م عدة شركات سينمائية مملوكة
لأجانب مقيمين بالإسكندرية، من هذه الشركات:

شركة «كوندور فيلم» لصاحبها إبراهيم وبدر لاما.
شركة «الفيلم الفنى» لصاحبها شوتز وبوتشيني.
شركة «مؤسسات جومون» لتوزيع الأفلام الفرنسية فى مصر.

بعد تكوين «الشركة الإيطالية المصرية السينمائية» قامت بإنشاء أول
استوديو سينمائى فى الإسكندرية عام ١٩١٧م، وقد أقامته على قطعة
أرض مساحتها ٦٠٠ متر مربع بمنطقة النزهة وأسّمته «استوديو النزهة»،
وكان أول إنتاج لهذه الشركة فيلم «شرف البدوى» ثم فيلم «الأزهار
المميّنة» وكان طول عرض كل فيلم قد بلغ عشرين دقيقة، وقد عرض
الفيلمان فى أواخر عام ١٩١٨م بدار عرض «سانتكلير» بالإسكندرية،
وفشل الفيلمان فشلا ذريعا، وقد شارك محمد كريم بالتمثيل فى هذين
الفيلمين، وتوقفت الشركة عن العمل وأنهت أعمالها بالإسكندرية
وأشهرت إفلاسها.

وقام المصور الإيطالى «الفيزى أوفانللى» بشراء كاميرات التصوير وآلات الطبع والتحميض من الشركة، ثم قام بإنشاء استوديو سيتنائى ضخم فى فيلا بشارع القائد جوهر بمنطقة المنشية، وشرع فى إنتاج الأفلام القصيرة. وفى عام ١٩١٩م استعان بزميل له يدعى «لاريتشى» ليخرج له فيلم «مدام لوليتا» وقام هو بالتصوير، وقد قام ببطولة الفيلم أعضاء فرقة دار السلام لصاحبها «فوزى الجزايرلى» الذى عمل بعد ذلك فيلم «ليلة فى العمر» من إخراج «الفيزى أوفانللى» وذلك عام ١٩٣٧م. وفى عام ١٩٢٠م أنتج فيلم آخر باسم «الخالة الأمريكية» وأخرجه «بون فيل» صاحب «سينماتوغراف راديو» بشارع عماد الدين بالقاهرة، وقد قام «على الكسار» بأداء دور امرأة لأول مرة فى تاريخ السينما المصرية، وفى عام ١٩٢٢م عرض فيلم «خاتم سليمان» وقام بتصويره «الفيزى أوفانللى» وأخرجه «لاريتشى».

ثم أخرج «الفيزى أوفانللى» عدة أفلام فى بداية الثلاثينيات بعد أن نقل نشاطه إلى القاهرة، ومن هذه الأفلام:

ثمن السعادة عام ١٩٣٧م بطولة فاطمة رشدى وحسين صدقى.

خدامتى عام ١٩٣٨م بطولة مختار عثمان وسلوى علام.

يوم المنى عام ١٩٣٨م بطولة على الكسار وسلوى علام.

تحت السلاح عام ١٩٣٩م.

أحب العقل عام ١٩٤٠م.

صناعة النجوم والعصر الذهبى للسينما:

فى عام ١٩٢٦م وصل إلى الإسكندرية عن طريق الميناء بواسطة إحدى السفن شابان فلسطينيان قادمين من شيلى وهما (بدر لاما ١٩٠٧م - ١٩٤٧م) و(إبراهيم لاما ١٩٠٤م - ١٩٥٠م) انضما إلى جماعة «أنصار الصور المتحركة» التى تحولت بعد ذلك إلى شركة سينمائية عرفت باسم «ميناء فيلم» وضمت كل هواة الفن السينمائى بالإسكندرية، ثم قام الأخوان لاما بتأسيس شركة «كوندور فيلم» وإنشاء «استوديو لاما» فى صحراء فيكتوريا. وفى عام ١٩٢٧م بدأ «إبراهيم لاما» إخراج أول أفلامه «قبلة فى الصحراء» الذى قام ببطولته «بدر لاما» إلى جانب ممثلة أجنبية فرنسية هى «إيفون جينادى»، وكان الفيلم تقليدا للأفلام الأمريكية التى كان يقوم ببطولتها «رودلف فالنتينو» التى كانت تعتمد على الفروسية والمغامرات، وقد عرض فى ٥ مايو ١٩٢٧م بدار سينما «الكوزموجراف الأمريكية» بالإسكندرية، وقد تكلف إنتاجه خمسة آلاف جنيه مصرى، وطوله سبعة فصول، ويلاحظ أن عرضه قد تم قبل فيلم «ليلى» الذى تؤرخ له بدايات السينما فى مصر، والذى عرض بعد فيلم الأخوين «لاما» يوم ١٦ نوفمبر ١٩٢٧م.

وفى عام ١٩٢٨م كان فيلمهما الثانى «فاجعة فوق الهرم»، وقد كتب له الأخوان لاما القصة والسيناريو والحوار وقاما بالتصوير والمونتاج والإخراج، وكان من بطولة «بدر لاما» و «فاطمة رشدى» وشقيقتها «رتيبة رشدى» و «محمود خليل راشد»، ولكن الفيلم فشل وهوجم من النقاد.

وفى عام ١٩٣١م كان فيلمهما الثالث «معجزة الحب» الذى قام ببطولته «بدر لاما» و«مختار حسين» الرياضى المعروف آنذاك،

و«ثريا رفعت» وأخرجه «إبراهيم لاما، وكان هذا الفيلم آخر أفلام الأخوين لاما بالإسكندرية.. وانتقلا بعد ذلك إلى القاهرة، وقاما بإنشاء «استوديو لاما» بحدائق القبة - فيما بعد عرف باسم استوديو جلال - وقدا من خلاله أفلاما اجتماعية وكوميديية وتاريخية منها:

وخز الضمير عام ١٩٣١م تمثيل آسيا- ماري كويني.

الضحايا عام ١٩٣٢م تمثيل بهيجة حافظ - زكي رستم.

شبح الماضي عام ١٩٣٤م تمثيل نادرة - بدر لاما.

معروف البدوي عام ١٩٣٥م تمثيل نبوية مصطفى - بدر لاما.

الهارب عام ١٩٣٦م تمثيل سمير عبد الله (ابن بدر لاما).

نفوس حائرة عام ١٩٣٧م.

الكنز المفقود عام ١٩٣٨م إخراج إبراهيم لاما.

ليالى القاهرة عام ١٩٣٨م تمثيل حسين المليجي - نعمات المليجي.

قيس وليلى عام ١٩٣٩م.

رجل بين امرأتين عام ١٩٤٠م تمثيل بدرية رأفت - أمينة رزق- بدر لاما.

صلاح الدين عام ١٩٤١م.

ابن الصحراء عام ١٩٤٢م.

خفايا الدنيا عام ١٩٤٢م.

الستات فى خطر عام ١٩٤٢م.

كليوباترا عام ١٩٤٣م تمثيل بدر لاما - أمينة رزق - بشارة واكيم.

عريس الهنا عام ١٩٤٣م.

نداء الدم عام ١٩٤٣م.

كنز السعادة عام ١٩٤٦م تمثيل فاتن حمامة - سمير عبد الله.
الحلقة المفقودة عام ١٩٤٧م تمثيل فاتن حمامة - أحمد علام - حسن فايق.
يسقط الحب عام ١٩٤٧م.
البدوية الحسنة عام ١٩٤٧م.

توجو مزراحي.. وبناء السينما المصرية:

ولد «توجو مزراحي» بمدينة الإسكندرية في ٢ يونيو عام ١٩٠١م لأسرة متمصرة، تعلم بمدارس الإسكندرية حتى حصل على دبلوم التجارة الفرنسية، رحل إلى إيطاليا في عام ١٩٢١م ليكمل تعليمه في دراسة التجارة ولكنه انتقل إلى فرنسا، وفي عام ١٩٢٨م عاد إلى الإسكندرية. قام بتأسيس شركة «الأفلام المصرية» بالإسكندرية، وفي عام ١٩٢٩م قام بإنشاء استوديو سينمائي -توجد مكانه الآن سينما ليلى بباكوس- وجهزه بمعدات التحميض والطبع وغرف الممثلين، وفي بداية رحلته مع السينما ظهر تحت اسم «أحمد المشرقي» خوفا من غضب عائلته. في عام ١٩٣٠م عرض أول أفلامه «الهاوية» بدار سينما «بلفي»، وبعد ثلاثة أشهر عرض في القاهرة تحت اسم جديد «الكوكابين» في ٢٣ فبراير ١٩٣١م، وقد قام «توجو مزراحي» بإنتاج وإخراج وتصميم الديكور وكتابة السيناريو والحوار وعمل المونتاج، وقام بتمثيله ممثلون بأسماء مستعارة مثل «عبد الله ثابت» «فاطمة ثابت» «فاطمة حسن مشرقى».

وأحداث فيلم «الهاوية» أو «الكوكابين» دارت حول عامل يحاول إغراء زوجة صديقه الجميلة بالمال واستمالتها فيفشل، فيسعى للوصول إليها عن طريق دفع هذا الصديق إلى إدمان الكوكابين، فينحرف ويترد

من عمله ، وتنهار الأسرة ، وتتطور الأحداث إلى أن يقتل هذا المدمن ابنه ويُحكم عليه بالإعدام ، أما الصديق الشرير فيموت بالسقوط من فوق إحدى السقالات التي يعمل عليها فى إحدى العمارات . ومن الملفت للنظر أن الذى قام بتصوير الفيلم «الفيزى أورفانلى» ، كما أنه من الملفت للنظر أيضا أنه عند عرض الفيلم فى القاهرة قام حكمدار القاهرة الإنجليزية فى ذلك الوقت «رسل باشا» بإرسال خطاب شكر لتوجو مزراحي عن إنتاج هذا الفيلم الذى يعالج مشكلة اجتماعية خطيرة فى نظر الحكمدار . فى العام التالى ١٩٣٢م قدم فيلم «٥٠٠١» (خمسة آلاف وواحد) وقد قامت ببطولته «دولت رمزى».. وفى عام ١٩٣٣م قدم فيلمه الناطق الأول «أولاد مصر» من تمثيله مع «حنان رفعت» وشقيقه الذى اختار لنفسه اسم «عبد العزيز المشرقى».. ويعتبر هذا الفيلم من أوائل الأفلام التى قام بتصويرها مدير التصوير الرائد عبد الحليم نصر، وقد قام بتصوير جميع أفلام «توجو مزراحي» التى أخرجها بعد ذلك فيما عدا فيلم «ليلة ممطرة» . تدور أحداث فيلم «أولاد مصر» عن شاب فقير لكنه متفوق فى دراسته ويقع فى حب شقيقة زميله فى الدراسة وهى ابنة باشا، ولكنه ابن لرجل يعمل على عربة كارو، ويتقدم لخطبتها لكن أسرتها ترفض هذا الزواج احتقارا لمهنة والده، فيصاب الفتى بالجنون، وينتهى الفيلم بشفائه وفوزه بجائزة كبرى فى مسابقة هندسية وزواجه من فتاة أحلامه والفيلم يتناول مشكلة الفوارق الطبقية .

وفى عام ١٩٣٤م يقدم أول أفلامه الكوميديه «المندوبان» وقد قام بتمثيله أشهر ثنائى كوميدي فى المسرح المصرى فى تلك الفترة «فوزى

الجزائري» فى دور «المعلم بحبح» و «إحسان الجزائرى» زوجته «أم أحمد»، فىحقق الفيلم نجاحا كبيرا، ويواصل «توجو مزراحي» استغلال نجاح الثنائى الكوميدى «فوزى الجزائرى وإحسان الجزائرى» فيقدمهما فى فيلمه التالى «الدكتور فرحات» عام ١٩٣٥م ويشاركهما بالتمثيل فى أحداث الفيلم.

وفى عام ١٩٣٥م قدم أيضا فيلمين، الأول «شالوم الترجمان» بطولة «شالوم» و «بهيجة المهدي» و «عبده محرم» ويدور حول زيارة سائح أمريكى مع ابنته المخطوبة لشاب أمريكى للإسكندرية، فيتعرف إلى بائع اليانصيب «شالوم» ويتخذة دليلا وترجمانا له أثناء زيارته لمصر، على الرغم من كونه لا يعرف أى لغة أجنبية، وينتقل شالوم مع السائح وابنته إلى القاهرة، وحين تتحدث الابنة عن غرامها بحبيبها الأمريكى يعتقد أنها تحبه هو، ويصل الخطيب الأمريكى إلى القاهرة فيدرك «شالوم» الحقيقة.. وفيلمه الثانى عام ١٩٣٥م كان باسم «البحار» بطولة فوزى وإحسان الجزائرى» وقام «توجو مزراحي» فى الفيلم بدور «حميدو» ابن البلد. وفى عام ١٩٣٦م قدم أيضا فيلمين مع «بربرى مصر الوحيد على الكسار» الأول باسم «مائة ألف جنيه» والثانى باسم «خفير الدرك»، والفيلمين للممثلة «زوزو لبيب».

فى عام ١٩٣٧م قدم «العز بهدلة» بطولة «زوزو لبيب» و «أحمد الحداد» و «شالوم»، وفيلم «الساعة سبعة» بطولة «على الكسار» و «بهيجة المهدي» (اسمها الأصلى هنريت كوهين) و «عز الطلب» و «شالوم الرياضى». ثم قدم فى عام ١٩٣٨م «التلغراف» بطولة على الكسار و «بهيجة المهدي»، وفيلم «أنا طبعى كده» بطولة «زوزو شكيب» و «فؤاد شفيق».

بعد ذلك نقل نشاطه إلى القاهرة وأخرج ١٩ فيلما، وأنتج عددا آخر من الأفلام، وفي عام ١٩٤٨م غادر «توجو مزراحي» القاهرة إلى إيطاليا وأقام هناك وتوقف عن النشاط السينمائي حيث توفي في ٥ يونيو عام ١٩٨٦م. وكل هذا يشير إلى أن السينما بالإسكندرية كانت رائدة في عهدها الصامت، ومع بدايات دخول الصوت.. وأن من سمات مرحلة النشوء والتطور (١٩٢٠م - ١٩٣٩م) أن الجاليات الأجنبية جعلت السينما في مصر رائدة لغيرها من الدول، بيد أنها لم تكن مصرية خالصة، حتى جاء «محمد بيومي» الرائد الحقيقي للسينما المصرية، والذي لم يكن مجال تلك الدراسة عن دوره، بل هي عن تأثير الأجانب في السينما بالإسكندرية. ولا يمكن بالطبع إغفال دور الجالية اللبنانية أو اليونانية وأهل الشام المقيمين بالإسكندرية، والذين لم يكن دورهم في البدايات يتعدى بناء دور العرض السينمائي أو استئجارها من الأجانب التي آلت إليهم بعد وفاة ملاكها، ومن هؤلاء:

«جورج قرداحي» - لبناني - قام ببناء سينما «بلازا» وسينما «رويال» ومسرح «محمد علي» - مسرح سيد درويش الآن». «إلياس جورج لطفى» - لبناني - حصل على الجنسية المصرية وكان يمتلك سينما «ركس» بالمنشية وسينما «رمسيس». «مسيو أرسلا نيدس» - يوناني - قام ببناء سينما «أوديون».

* * *